المحاضرة الثانية عشر: صراع الحضارات وحروب التوسع والمواجهة في الشرق الأدنى والعالم الإغريقي القديم:

إن مصطلح صراع الحضارات هو في الحقيقة مصطلح عصري (معاصر) يعني التصادم أو التنافس بين عدد من الثقافات والمجتمعات المختلفة في عاداتها وتقاليديها ومعتقداتها، حيث تسعى كل منها إلى فرض نفسها وثقافتها لتهيمن على باقي الثقافات الأخرى، إلا أن حقيقة هذا الصراع كانت دائما ولا زالت إلى يومنا هذا بين الثقافات الشرقية والثقافة الغربية، إلا أن الكثير من المفكرين قد تحدثوا عما يسمى حوار الحضارات، أو حوار التواصل وشتانا بين المسألتين.

وفق هذا المفهوم فإن العالم القديم قد شهد تاريخ العالم القديم منذ عصوره الأولى حالة من الفوضى والحروب المتكررة والطويلة بين مختلف الحضارات كنتيجة حتمية لجملة من الدوافع والأسباب التي أدت إلى حتمية الصدام بين هذه القوى ومن هذا نبرز:

- الدافع الاقتصادي: لقد سعت جل القوى التي عرفها العالم القديم إلى تحقيق الرخاء الاقتصادي وتحسين ظروف حياتها، وهذا ما دفعها للتوسع في المناطق التي تحوي خيرات زراعية، وحيوانية كبيرة، وكانت بلاد الرافدين والساحل السوري عرضة لهذا بسبب غناها الاقتصادي.
- الدافع السياسي والعسكري: سعت مختلف دول العالم القديم إلى التوسع على حساب جيرانها ضمانا لمكانتها من جهة ولفرض منهجها وتقاليدها من جهة أخرى، وحبا في السيطرة على هذه البلدان سعيا لاكتساب القوة...
- الدافع الديني: غالبا ما كانت الدول المنتصرة تفرض معتقداتها الدينية على شعوب الحضارات المنهزمة الضعيفة.
- الدافع الاجتماعي: إن النمو الديموغرافي الذي شهدته هذه الأوطان والبلدان قد دفعها إلى إيجاد أوطان بديلة تستوعب هذه الزيادة البشرية منها هجرات شبه الجزيرة العربية، والهجرات الآسيوية.

أولا. الحروب الميدية:

جاءت القبائل الميدية مع القبائل الفارسية إلى الشرق الأدنى واستقرت في أذربيجان وكردستان الحالية، وظلوا لسنوات خاضعين للإمبراطورية الآشورية، إلا أنهم جعلوا ن الفرس أتباعا لهم في بداية تأسيس دولتهم، وبوفاة آشور بانيبال تقدم الميديون في أملاك الدولة الآشورية، ثم ابتلعوا ممتلكات آشور، ونجحوا في ذلك بالتحالف مع بابل (الكلدانية) سنة 626 ق. م، ثم تابعوا تقدمهم حتى آسيا الصغرى إلى

غاية نهر هاليس فاصطدموا بدولية ليديا المتأغرقة، وبعد فترة طويلة من الصراع المسلح، انتهت الحرب بين الليديين والميديين بالمصاهرة.

وبوفاة الملك الميدي هواخشير (كياكساريس) برزت قوة الدولة الإخمينية (الفرس) بقيادة الملك قورش، الذي تمكن من القضاء على الميديين سنة 555 ق. م، وتوجه نحو آسيا الصغرى التي بها سلطة مملكة ليديا أين تمكن من أسر ملكها ساردس سنة 546 ق. م، ثم غزا دويلات آسيا الصغرى ما بين 545–539 ق. م، في صورة فريجية، قليقية، ليقية، ... وكلها تتبع العالم الإغريقي وهذا ما فتح المجال أمام ما سيعرف تاريخيا بالحروب الفارسية الإغريقية.

ثانيا: الحروب الفارسية–الإغريقية:

بوفاة الملك قورش خلفه على العرش الملك دار العظيم الذي واجهته أولا ثورة أتباعه الآيونيين، ما اضطره لتوجيه حملة عسكرية لقمع ثورتهم، وتمكن الفرس من الانتصار برا أمام إيفس سنة 498 ق.م، ثم قرب جزيرة لاديس في البحر سنة 494 ق. م، وتمكنوا من تطويق مركز التمرد في مدينة ميليت، لكن دارا الأول رأى أن هذه الثورة مفتعلة من قبل الإغريق خاصة بعد أن استنجد الأيونيين بأثينا فقرر إلان الحرب على الدول الإغريقية جميعا، وهذا ما كان بداية لحلقات طويلة من الصراع العسكري بين العالم الفارسي الشرقي، والعالم اليوناني الغربي:

- الحملة الأولى (492 ق. م): قادها القائد الفارسي مردونيوس الذي اتجه أولا نحو أيونيا، وتمكن من التقدم برا وبحرا بمساعدة الأسطول الفنيقي، إلا هيجان البحر وخسارة الكثير من السفن جعله مضطرا للتراجع والانسحاب بعد الخسائر الكبيرة التي أصابت جيشه.
- الحملة الثانية (490 ق. م): غضب الملك داريوس الأول (دار، داريوش) من هذا الفشل وأصر على تأذيب أثينا، وقد شجعه على ذلك الملك اليوناني المنفي في فارس هيبياس، فتقدم داريوس بجيشه (200 ألف رجل و600 سفينة) وأخضع مدينة إيثاكا، لكن توحيد قادة اليونان لصفوفهم وخيانة هيبياس جعلت الجيش الفارسي ينهزم في موقعة ماراطون سنة 490 ق. م، ما اضطر داريوس للانسحاب مرة أخرى.
- الحملة الثالثة (480 ق.م): لم يتوقف الملك داريوس عن محاولاته لغزو اليونان إلا بعد ثورة مصر ضد حكمه، وبوفاته خلفه الملك زركسيس، الذي جمع جيشا عرمرما وأراد الانتقام من اليونان (1200 سفينة ومليون جندي) وواجه العالم اليوناني تحت قيادة إسبرطة وأثينا، ورغم تمكن قواته البرية من عبور مضيق ثريموبيلاي وتجاوز الملك ليونيداس، إلا أن الأسطول البحري الأثيني أوقع بالأسطول الفارسي في معركة سلامين البحرية، وهذا ما أجبر الملك الفارسي على التراجع.

- الحملة الرابعة (479 ق. م): وهي حملة قادها القائد الفارسي مردونيوس ضد بوسيناس ملك إسبرطة، حيث إلتقى الطرفان في معركة كبيرة في منطة بلاتيا قتل خلالها القائد الفارسي مردونيوس، ما اضطر الجيش الفارسي للانسحاب.

بعد النصر الذي حققه اليونان في سلامين وبلاتيا، انتقل العالم اليوناني من حالة الدفاع إلى الهجوم، خاصة أن العالم اليوناني قد تمكن من تحقيق وحدته (30 دويلة) ضد الفرس فيما عرف بالجامعة البيلوبونيزية، وتمكنوا أخيرا من طرد الفرس من شرق المتوسط بعد معركة سلامين 2 سنة 449 ق.م.

ثالثا. الحروب البيلوبونيزية:

بعد انتصارهم على الفرس ازدهرت الحركة التجارية والاقتصادية في بلاد اليونان ونتيجة للطموح في التوسع والسيطرة الذي عرفته البلاد، فإن هذا فتح المجال لعودة التنافس بين مختلف الدويلات الإغريقية حول زعامة العالم اليوناني وهو ما أدى إلى وقوع سلسلة طويلة من الحروب الداخلية في اليونان عرفت بالحروب البيلوبونيزية، حيث رفضت مختلف الدويلات اليونانية زعامة أثينا على بلاد الإغريق.

- الحرب البيلوبونيزية الأولى (431-421 ق.م): وطرافاها على العموم هما ديقراطية أثينا والأرستقراطية العسكرية الإسبرطية وحلفاؤهما (ميقار، كورنثا، بلاتيا)، كانت البداية بهجوم إسبرطة على بلاتيا حليفة أثينا المنشغلة بالحرب مع كورنثا وميغار، وأمام سيطرة الأثينيين وقوتهم البحرية الحاسمة، عملت إسبرطة على دعم التمردات والثورات في المدن الحليفة لأثينا، وتمكنوا من توجيه ميدان الحرب نحو الساحل الشمالي لبخر إيجا أين يوجد حلفاء أثينا (بوتيديا، أولنيث، أمفبولس)، حيث أمل البيلوبونيزيين (البر اليوناني) في تفكك حلف ديلوس (تقوده أثينا)، وهو ما تحقق بعد انتصار اسبرطة في معركة أمفبولس سنة 422 ق. م، وانتهت هذه الحرب بصلح نيسياس سنة 421 ق.م.
- الحرب البيلوبونيزية الثانية (421-404 ق. م): أمام الضعف التجاري الذي أصاب أثينا قرر قادتها التوجه في حملة نحو سيسيليا (إيطاليا) الغنية بالقمح، إلا أن مجلس الحكم في أثينا قرر مقاضاة قائد الحملة ألسبياد فقرر الأخير الفرار واللجوء إلى إسبرطة، وهو ما جعل أثينا تهاجم سيراكوز التابعة لإسبرطة إلا أنهم وقعوا في حصار بعد وصول الدعم الكورنثي لسيراكوز، وهذا ما جعل اسبرطة تقرر رسميا الحرب ضد أثينا فيما عرف بحرب ديسيليا.

حيث قامت إسبرطة عام 413 ق. مباحتلال مركز ديسيليا الاستراتيجي بالنسبة لأثينا، خاصة بعد تحالف الاسبرطيين مع الفرس، حيث وقعت معركة هلسبونت قرب أغوي-بوتاموس سنة 405 ق. م، والتي خسر فيها الأثينيون كل أسطولهم ما اضطرهم للاستسلام سنة 404 ق.م -بعد انتشار المجاعة في أثينا- بشروط مهينة تمثلت في تسليم الأسطول، هدم التحصينات، حل حلف ديلوس، دفن الديقراطية.

رابعا: الحروب الفارسية المصرية:

لم يقتصر الفرس على محاولات السيطرة على العالم اليوناني والشرق الأدنى في حدود قارة آسيا بل إن طموحاتهم قد امتدت إلى مصر، فبدأ الفرس يوجهون أنظارهم نحو مصر منذ عهد الملك قورش، إلا أن وفاته سنة 529 ق.م أثناء حملته على قبائل البارث شمال فارس، جعل الحملة المصرية تتأجل إلى عهد خليفته قمبيز (529-522 ق.م) حيث تمكن الأخير من التوجه إلى مصر بعد أن أخضع آسيا الصغرى، وتقابل مع الجيش المصري في بلوزيوم (تل فرما)، ثم دخل منف وكون أول أسرة فارسية لحكم مصر (الأسرةو 27)، ولم يتوقف قمبيز عند منف بل رغب في التوسع نحو واحة سيوة مقر معبد الوحي () هلك جميع جنوده في الصحراء) وقرطاج لكن الفنيقيون رفضوا الحرب على بني جلدتهم.

بعد ثورة جوماثا في فارس أقفل قمبيز راجعا إلى عاصمته ولكنه توفي في الطريق، ولما جاء خليفته دارا الأول (522-485 ق.م) تمكن من القضاء على التمرد في فارس، وأعاد إخضاع الميديين وآسيا الصغرى ثم سار مرة أخرى إلى مصر فأخضعها مجددا.

وبوفاة دارا الأول قام الملك الفارسي إكسركسيس الأول (485-464 ق.م) بتعيين حاكم جديد على مصر هو أخمنيس بعد مقتل الحاكم السابق نراندتس، وتمكن الفرس في هذه المرحلة أيضا من قمع تمرد يهود أورشليم في القدس.

بوفاة إكسركسيس الأول جاء أرتاكسركسيس الأول (464-426 ق.م) وتمكن من مواجهة ثورة أناروس وأميرتى الذي تحالف مع أثينا وتمكن من هزيمة الأسطول الفارسي، ولكن الحاكم الجديد لمصر أرسامس تمكن بمساعدة الفنيقيين من القبض على أناروس وإرساله إلى سوس، ورغم انسحاب أميرتى إلى الدلتا إلا أن مصر سقطت مجددا أمام الفرس.

بوفاة أرتاكسركسيس الأول توج المصريون دارا الثاني ملكا على مصر إلى غاية سنة وفاته في 404 ق.م، وبوفاته خلفه أرتاكسركسيس الثاني (404-359 ق.م) الذي حاول مجددا إعادة السيطرة على مصر ولكنه فشل في دخول منف بعد أن فشل قبلها في دخول إقليم سوبد شرقي الدلتا.

بمجيئ أرتاكسركسيس الثالث (359-338ق.م) عاد الفرس لغزو مصر سنة 351 ق. م، لمنهم تفاجئوا بثورة الدويلات الفنيقية وقبرص فأخضعهم جميعا قبل أن يواصل السير إلى مصر سنة 341 ق.م، وتمكن من تأسيس أسرة فارسية في مصر مرة أخرى، واستمر الوضع على هذا النحو بعد تتويج خليفته دارا الثالث ملكا على مصر سنة 334 ق.م حتى مجيء الاسكندر المقدوني سنة 332 ق.م.

للاستزادة أنظر:

1- روجي غارودي: حوار الحضارات، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1997.
2- صـــامويل هنتنغتون: صـــراع الحضـــارات. إعادة صـــنع النظام العالمي، ط. 2، مركز الدراســـات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، لبنان، 1999.
3- ف. دياكوف، س. كوفاليف: الحضارات القديمة، ج. 1، تر. نسيم واكيم اليازجي، ط. 1، دار علاء الدين، دمشق، 2000.
4- سمير أديب: تاريخ وحضارة مصر القديمة، مكتبة الإسكندرية، مصر، 1997.
5- ف. دياكوف، س. كوفاليف: الحضارات القديمة، ج. 2، تر. نسيم واكيم اليازجي، ط. 1، دار علاء الدين، دمشق، 2000.
6- رمضان عبده علي: تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته، ج. 1، ط. 1، دار نهضة الشرق، مصر، 2002.
7- إيمان لفتة حســـين: "مملكة ليديا (687-546 ق. م،) تاريخها وحضـــارتها"، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، العدد 3، مجلد 4، د. ت.